



عودة الدومينو

"الجوهرة" التي كان يتوقع العالم اجمع ان ينطقتها كولن باول امام مجلس الامن يوم الاربعاء تأخرت الى الامس، لكنها خرجت اخيراً من ثغره حين تكلم امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ عن احتمال ان يؤدي نجاح الولايات المتحدة في حربها المرتقبة على العراق الى اعادة تشكيل الشرق الاوسط "جزرية" و"بطريقة ايجابية، بما يعزز مصالح الولايات المتحدة". اعادة تشكيل الشرق الاوسط! ليس من احد في الشرق الاوسط كله يجهل حضور هذا التطلع وراء الاستعدادات الحربية الاميركية.

اصلاً، لم يبدأ الحديث عن الحرب يتسع الا بعدما راح العديد من الاميركيين القربين من مركز القرار يروّجون لفكرة استخدام "العراق الجديد" كرافعة (او فزّاعة) من اجل احداث تغيير عميق في المعدلات الاقليمية. لكنها المرة الاولى التي تقفز فيها هذه الفكرة الى الواجهة على لسان مسؤول في مرتبة باول.

والامر بالتأكيد لم يكن هفوة، بل الارجح ان وزير الخارجية الاميركي قد تعمّد تحديد رهان للحرب الآتية يتجاوز مسألة نزع السلاح العراقي، لشعوره انه نجح في اقناع الكونغرس بصلاحية "الدلال" التي قدمها امام مجلس الامن عن ذاك السلاح، وإن لم يفلح بالمقدار نفسه مع الحكومات المعارضة لمنطق الحرب. من المعروف ان الاميركيين لم يتبعوا الى ضرورة "ادارة تشكيل الشرق الاوسط"، الا في سياق محاولتهم الرد على السؤال الذي انفجر في وجههم ذات يوم من ايلول ٢٠٠١: لماذا يكرهوننا؟ حتى تلك اللحظة، كانوا يتعاشرون بافضل السبل مع الشرق الاوسط القديم، رغم كل ما نسجته المخيلة الشعبية العربية حول مخططات تقسيمية كانت تتسبّب عادة الى هنري كيسينجر. لماذا يكرهوننا؟ لأننا تركنا انظمة فاسدة تشيع ثقافة سياسية معادية لفيمنا، حتى ولدت منها انشطة سياسية معادية لمصالحنا. كيف نجعلهم يتوقفون عن كرهنا؟ نتخلّى عن الانظمة القائمة او نجبرها على "التحديث" من خلال استحداث قاعدة جديدة لنا، مع منافع نفطية مماثلة.

هكذا نضرب عصافورين بحجر واحد: نبرهن للعالم ان احدى القطب ليست كلاماً فارغاً، فنحن من يقرر من له ان يحيا ومن له ان يموت، ونطلق عجلة التغيير عند حلفائنا القديمين في المنطقة. في جانبه الثاني، يمكن الرهان في استعادة لعبه الدومينو، تلك التي شكلت في ما مضى هاجساً للادارات الاميركية المتعاقبة، حيث اطلق هذا الاسم على نظرية استراتيجية تقول بعدم جواز سقوط اي بلد، مهما كان صغيراً، في يد العدو (الشيوعي آنذاك) لأن ذلك يؤدي الى سقوط جيرانه واحداً تلو الآخر.

وعلى هذا الاساس، خاضت الولايات المتحدة حرب فيتنام، وقبلها تدخلت في الكونغو وفرضت الحصار على كوبا. وهذا تحديداً ما يفترض ان يوحى لها صعوبة التخطيط لعبه دومينو هجومية تنطلق من العراق. فحتى في غياب قوة عظمى اخرى تصدّها كما صدّت هي ما كانت تعتبره توسيعاً للاتحاد السوفيaticي، تملك الولايات المتحدة ما يكفي من الخبرة لتدرك ان سكة الدومينو تتعرّض امام خصوصيات كل بلد.

بكلام اوضح، ان قيام عراق ديمقراطي، بالاقراظ انه سيقوم، لا يستتبعه آلياً انتقال الجزيرة العربية الى الديمقراطية. على العكس، ان الوسيلة المعدّة لفرض الديمقراطية في العراق من شأنها



تأجيج المشاعر المعادية للولايات المتحدة خلال الفترة التي ستسنلز منها الديمقراطية حتى تستقيم. لا شك في أن نظرية الدومينو الهجومية الكامنة في رهان إعادة تشكيل الشرق الأوسط، جذابة على الورق. لكنها في الواقع قد تؤدي إلى ما يشبه حال الذي يمسك أذنه اليسرى بيده اليمنى، فيما لا يخرج من فيه إلا كلمتين اثنتين: لماذا يكرهوننا؟

سمير قصیر



Id-Reference	03-Pr-000675	
Media	(Support)	HC
Title		عودة الدومينو
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date	7/2/2003	٢٠٠٣/٢/٧
Author		سمير قصیر
Co-Author		
Keywords		
	Persons	كولن.باول - هنري.كيسينجر
	Locations	ولايات.متحدة - شرق.اوسط - عراق - اتحاد.سوفياتي - كونغو
	Dates	٢٠٠١.أيلول
	Themes	ولايات.متحدة.شرق.اوسط - عراق - أنظمة.عربية - نفط - حرب.على.عراق - شرق.اوسط.قديم - حزب.شيوعي - اجتماع.مجلس.امن - شرق.اوسط.جديد - شيوعية - جزيرة.عربية - كولن.باول - ديمقراطية
Subject		